الخلوة عند الصوفية – دراسة نقدية-

إعداد

د / مريم بنت بنيان الحربي

المقدمة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

الحمد لله الذي بعث رسوله-ﷺ-بالكتاب المبين ، الفارق بين الهدى والضلال والغي والرشاد والشك واليقين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

أما بعد :

فقد بحث الباحثون في أصل التصوف ونشأته [١]، ووضعوا في ذلك النظريات المختلفة التي لايزال بعضها قيد البحث . ولا غرابة في ذلك ؛ لأن العوامل التاريخية والتتابع الزمني في التطور الفكري عند الصوفية ، منذ ظهوره وارتباطه بالزهد إلى أن أصبح حركة منظمة ومدرسة وطريقة يتخرج فيها الأولياء ، لها قواعدها ورسومها من حيث سيرة المريدين وأخلاقهم وعبادتهم . وأصبح المريد يتلقى قواعد الطريق الصوفي على شيخه، وقد تعددت طرق التصوف.

وتشير الدراسات البحثية في التصوف إلى أن هناك عوامل متعددة أثرت الفكر الصوفي ؛ كالفلسفات والديانات الشرقية من هندوسية وبوذية وغيرها ،إلى جانب عوامل مستمدة من الدين الإسلامي ، وقد برز بوضوح أثر الرهبنة في النصرانية على الفكر الصوفي ، إلا أن بعض الكتاب يبذلون جهدهم لنفي ما قيل عن التأثيرات الفكرية الخارجية على المعتقدات والطقوس الصوفية، ويصرون على أن الصوفية بكل ما فيها نابعة من بوتقة الإسلام. ومع أننا جميعاً نعرف بلا شك بأن هذه القضية شغلت الناس قديماً وحديثاً، عرباً ومستشرقين، كما نعرف بأن جمهرة الباحثين يخالفون هذا الرأي.

وتعتبرالخَلْوةُ من أهم الطقوس التي مارسها الصوفية على اختلاف طرائقهم، فقد تداولوا هذا المصطلح باهتمام شديد، وكانت الخلوة إحدى أهم مجاهداتهم ورياضاتهم الأثيرة على قلوبهم التي يرى الصوفية فيها الاستناد والاستدلال عليها من الإسلام من ذلك :ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، قالت:

---

(١) **لن اتعرض في البحث للحديث عن الصوفية ونشأتها لكثرة من كتب عنها.**

(أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه. . .) [٢]. يقول الفوتي (١٢١١-١٢٨١ه)[٣]: (فهذا الحديث المنبئ عن بدء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأصل في إثبات المشايخ للخلوة لمريد من الطالبين) [٤].

من هذا المنطلق فإن لدراسة موضوع الخلوة عند الصوفية جوانب مهمة جدا تبرز الإجابة عن الأسئلة التي من ضمنها :هل الخلوة الصوفية من المحيط الإسلامي أو من تأثير بيئة أخرى؟ .وإذا كانت من المحيط الإسلامي ، فماهي دلالتها على ذلك؟

فكان هذا الموضوع بعنوان " الخلوة عند الصوفية –دراسة نقدية-"، لعل فيه إجابة عن هذه الأسئلة .

أسباب اختيار الموضوع:

١-أن تحديد مفهوم الخلوة عند الصوفية ومدى قربه من المصطلحات الشرعية كالحديث السابق " حبب إليه الخلاء" مهم جدا في مجال الحوار والنقاش ومجال الإقناع مع الفرق المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة.

٢-أن البحث في المخالفات العقدية ،وخاصة ماله علاقة بتزكية النفوس مهم لبيان الحق من الباطل .

حدود ومنهج البحث :

حدود البحث :هو استقراء لما كتب الصوفية عن الخلوة من وجهة نظرهم ، ثم التعقيب على ذلك ، بدون التعرض للعوامل الخارجية المؤثرة على الفكر الصوفي إلا نادرا.

---

(٢) رواه البخاري ،كتاب بدء الوحي ، باب بدء الوحي ،رقم الحديث ٦٥٨١.

(٣) الفوتي (١٢١١–١٢٨١هـ):عمر بن سعيد التجاني من افريقيا ، له من المؤلفات: "رماح " .انظر :معجم المؤلفين الصوفيين ،محيي الدين الطعمي ، ٢٢٦.

(٤) نقلا عن فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها،٣/ ٩٤٨.

وعلى ذلك يكون المنهج في البحث –بإذن الله- المنهج الاستقرائي أتتبع فيه ما كتب عن الخلوة عند الصوفية -حسب ما وقفت عليه من مراجع- ، ثم المنهج النقدي للتمييز بين الحق والباطل ، وعرفت في البحث بأعلام الصوفية الذين نقلت كلامهم ، كما عرفت بالمصطلحات من مظانها ، واكتفيت في الهامش بالتوثيق المختصر للمرجع بذكر اسم الكتاب والصفحة والجزء أن وجد، والبيانات للكتاب كاملة في فهرس المراجع، وإذا كان المرجع بنفس الاسم لأكثر من مؤلف فأذكر اسم المؤلف .

الدراسات السابقة

لم أقف على دراسة سابقة للموضوع بالعنوان ذاته، رغم كثرة من كتب عن موضوع التصوف وطرقه.

خطة البحث

قسمت البحث فيه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المقدمة وفيها أسباب اختيار الموضوع وحدوده ومنهج البحث الدراسات **السابقة وخطة البحث.**

المبحث الأول: الخلوة عند الصوفية تعريفها وأهميتها ونشأتها.

المبحث الثاني :شروط الخلوة عند الصوفية ومدتها.

الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث.

وأخيرا

أسال الله تعالى التوفيق لما يحب ويرضى ،وراجية من الله العفو عن الزلل والتقصير وتبصيري بالمعايب.

والله ولى التوفيق والسداد

المبحث الأول: الخلوة عند الصوفية تعريفها و أهميتها ونشأتها

تعريف الخلوة لغة واصطلاحا لغةً:

مشتقة من الفعل خلى وأخلى يخلو خلوة وخلاء .

الخلاء: المكان الخالي الذي لا يوجد به أحد .

جاء في لسان العرب:(خلا المكان، والشيء يخلو خلوًّاً، وخلاءً، وأخْلى إذا لم يكن فيه أحد، ولا شيء فيه، وهو خالٍ ... ويقال: خلا الرجل وأخلى: وقع في موضعٍ خالٍ لا يُزاحم فيه، ... وخلت الدار خلاءً: إذا لم يبقَ فيها أحدٌ) (٥).

وتأتي الخلوة بمعنى الانفراد والعزلة بالشيء.

(خلوةً: انفرد به، وكذلك خلا بزوجته خلوةً، ولا تسمى خلوة إلا باستمتاع بالمفاخذة ... فإن حصل معها وطء فهو الدخول ...) (٦).

الخلوة اصطلاحا

الخّلوة والعُزلة عن صحبة الخَلق تطوّرتا بين سالكي الطريق الصوفي في الإسلام باعتبارهما جزءًا من مجاهدة النفس والهوى .وقد عرفت بعدة تعريفات منها : ما يدل على ترك الاختلاط بالناس والعزلة والانشغال بذكر الله تعالى .جاء في تهذيب خالصة الحقائق : (الخلوة: الحد: قال حكيم: الخلوة ترك اختلاط الناس وإن كان بينهم، وقال عالم: الخلوة الخلو عن جميع الأذكار إلا عن ذكر الله تعالى، وقيل: الخلوة محافظة الحواس وترك الاستئناس بالناس، وقيل: الخلوة المفارقة عن النظر والأقران قلباً وقالباً، وقال حكيم: الخلوة الأنس بالذكر والاشتغال بالفكر) (٧).

وهناك تعريف آخر للخلوة هو: (محادثة السر مع الحق حيث لا ملك ولا أحد سواه) (٨).

وهذا التعريف من حيث الغاية التي يراد الوصول إليها من خلال الخلوة .

---

(٥) مادة "خلا"، ١٤/ ٢٣٧ – ٢٣٨.

(٦) المصباح المنير ، مادة "خلا"، ١/ ١٨١.

(٧) تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق ، ٣٨٧/١ .

(٨) اصطلاحات الصوفية ،١٩، وانظر :التعريفات ، ١٠١.

وحيث إن هذه التعريفات لا توضح المراد بالخلوة بشكل دقيق، فلندع أحد معاصري الصوفية يوضح لنا تعريفها من حيث غايتها وطريقتها: (الخلوة ..انقطاع عن البشر لفترة محدودة، وترك للأعمال الدنيوية لمدة يسيرة، كي يتفرغ القلب من هموم الحياة التي لا تنتهي، ويستريح الفكر من المشاغل اليومية التي لا تنقطع، ثم ذكر لله تعالى بقلب حاضر خاشع وتفكر في آلائه تعالى آناء الليل وأطراف النهار، وذلك بإرشاد شيخ عارف بالله، يعلمه إذا جهل ويذكره إذا غفل، وينشطه إذا فتر، ويساعده على دفع الوساوس وهواجس النفس)[٩].

فالخلوة بناء على هذا التعريف تتناول ثلاثة أمور:

الأول: انقطاع عن الناس لمدة من الزمن كما سياتي بيانه.

الثاني: ملازمة الذكر، وخاصة الذكر باللفظ المفرد وهو: : "الله، الله" أو هو هو.

الثالث: إرشاد شيخ للمريد. فالخلوة عند الصوفية (بلا شيخ مخطرة ،وله فتوح عظيمة، وقد لا تصلح لأقوام فليعتبر كل أحد بها حاله) [١٠].

وهناك من يقسم الخلوة إلى قسمين ويتبعها بقسم ثالث كما فعل البكري (١٠٩٩-١١٦٢ه)[١١] في ألفيته : فالقسم الأول " خلوة الملا" : وهي الخلوة المطلقة التي تُعرف بـ " خلوة العارف الكامل " وهي الحضور مع الحق في كل نفس ، ومعنى ذلك أن لا يرى السالك شيئا سوى الله ، والقسم الثاني " خلوة الخلاء" : وهي الخلوة المقيدة التي تعرف بـ " خلوة السالك المبتدئ " وهذه الخلوة من جملة المريد نفسه ، وهذه الخلوة غايتها أنها توصل المريد إلى ما

---

(٩) حقائق عن التصوف ،١٢٣.

(١٠) قواعد في التصوف ، قاعدة ١١٤، ٧٧.

(١١) مصطفي البكري (١٠٩٩–١١٦٢هـ): شاعر وفقيه صوفي جمع بين الطريقتين القادرية و الخلوتية ،له من المؤلفات :"برء الأسقام " و"الفتح القدسي ".انظر : معجم المؤلفين الصوفيين ، محمد أحمد درنيقة ، ٤٦٧.

بعدها من الخلوات، والقسم الثالث " خلوة المحقق الكامل " ، وهي خلوة خاصة الخاصة ، حيث تكون للقطب الغوث[١٢] –بزعم الصوفية.[١٣]

والأقسام المذكورة للخلوة هنا :هي خلوة المبتدئ ثم خلوة السالك الذي حصل له التجلى ثم خلوة خاصة الخاصة "القطب "كما يرى الصوفية، والأمر في هذه الأقسام هو التدرج في الخلوة وغايتها.

يقول البكري في ألفيته :

والخلوة التي عليها اصطلحوا ... أهل الطريق وبها قد أفلحوا
هي بأن يحادث الحقَ الوليُ ... عبداً له في سِره فيجتلي
نور الجمال غب ذا التحديث ... ويفهم النص مع الحديث
وهي على قسمين خلوةُ ... لكاملٍ والمبتدي ذا في الخلاء
وخلوةٌ بالله خصها بمن ... يكون قطب الوقت فيَّاض المنن
وأن هذا في اصطلاح العرفا ... وعند أرباب السلوك الشرفا
لها شروطٌ ولها آداب ... راقٍ بها لسرْبها الشراب[١٤]

مصطلحات ذات صلة بالخلوة

من المصطلحات التي لها ارتباط بمصطلح الخلوة عند الصوفية :العزلة والجلوة والكشف.

١-العزلة

قد فرق بعض الصوفية بين العزلة والخلوة ، فبعضهم جعل العزلة أعلى مرتبة والبعض جعل الخلوة أعلى مرتبة ومنهم من جعلهما بمعنى واحد ،كما جاء في "الموسوعة الصوفية" : (الخلوة هي العُزلة عند بعضهم ، وغير العُزلة عند البعض الآخر . فالخَلْوة من الأغيار ، والعُزلة من النفس وما تدعو إليه ويشغل عن الله ، فالخلوة كثيرة الوجود ، والعزلة قليلة الوجود ، ومن ثم

---

(١٢) القطب الغوث عند الصوفية عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان وهو على قلب اسرافيل عليه السلام–بزعهم–.انظر: اصطلاحات الصوفية،٧.

(١٣) انظر : الألفية الصوفية المسماة الألفية الوفيه للسادة الصوفية ، ٣٢٠–٣٢٢.

(١٤) الألفية الصوفية المسماة الألفية الوفيه للسادة الصوفية ، ٣٢٠–٣٢٢.

فالعزلة أعلى من الخلوة . وقيل بل العزلة أعلى لأنها من الأغيار . وقيل هدى الخلوة عن جميع الأفكار إلا عن ذكر الله . وقال بعضهم الخلوة والعزلة تعنيان الانفراد) [١٥] .

وقال أحمد زروق (٨٤٨-٨٩٩ه) [١٦]"في قواعد التصوف" : (الخلوة أخص من العزلة، وهي بوجودها وصورتها نوع الاعتكاف ولكن لا في المسجد وربما كانت فيه، وأكثرها عند القوم لا حد لها، ولكن السنة تشير للأربعين بمواعدة موسى عليه السلام، والقصد في الحقيقة الثلاثون، إذ هي أصل المواعدة وجاور صلى الله عليه وسلم بحراء شهرا) [١٧].

ومن أقوال أئمة التصوف ما قاله القشيري(٣٧٦ هـ - ٤٦٥ هـ) [١٨] : (الخلوة صفة أهل الصفوة ، والعزلة من أمارات الوصلة، ولابد من المريد في ابتداء حالة من العزلة عن أبناء جنسه ، ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه)[١٩].

ففرق القشيري هنا بين العزلة والخلوة ، فيبدأ المريد أولا بالعزلة عن الناس ، ثم بالخلوة للتعبد. وذكر القشيري أقوال كثيرة لأئمة الصوفية لتدعيم هذا الرأي

---

(١٥) ٩٥٣.

(١٦) أحمد بن أحمد الشهير بزروق الفاسي(٨٤٨-٨٩٩هـ): فقيه ومحدث صوفي شاذلي الطريقة، من مؤلفاته: "قواعد التصوف " و "الجنة للمعتصم من البدع بالسنة" .انظر :معجم المؤلفين الصوفيين ، محمد أحمد درنيقة ، ٤٣.

(١٧) القاعدة "١١٤"، ٧٧.

(١٨) القشيري (٣٧٦ هـ – ٤٦٥ هـ) :عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري إمام الصوفية، وصاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف. انظر : معجم المؤلفين الصوفيين ،محى الدين الطعمي، ص١٧٢؛ معجم المؤلفين الصوفيين ، محمد أحمد درنيقة، ٢٢٥.

(١٩) الرسالة القشيرية ، ١٠١.

، منها قول الجنيد(ت٢٩٧ه)[٢٠]:(من أراد أن يسلم له دينه ، ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس ، فإن هذا زمان وحشة ، والعاقل من اختار فيه الوحدة)[٢١].

٢-الجلوة

يستخدم الصوفية لفظ الجلوة وهو علامة إشراق قلوب المريدين بنور الله وحصولهم على الكشف الذي هو الغاية من الخلوة، والجلوة إنما تحصل بعد الخلوة .

فيرى الشيخ محيي الدين بن عربي(٥٦٠-٦٣٨ه) [٢٢]: (الجلوة إنما تبتدئ بعد الخلوة، ذلك أن الجلوة هي خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية) [٢٣].

فتعرف (الجلوة: خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية) [٢٤] ، والمعنى:(خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية؛ إذ عينه، وأعضاؤه في تمحّص الجمع ممحوة عن الانية والأعضاء مضافة الى الحق بلا عبد)[٢٥].وسيأتي مزيد إيضاحه عند الحديث عن الكشف.

٣-الكشف

الكشف في اصطلاح الصوفية (هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً) [٢٦].والكشف هو المراد من

---

(٢٠) **الجنيد بن محمد الخراز(ت٢٩٧ه) : من شيوخ الصوفية ،اشتهر بصحبة الحارث المحاسبي والسري ، من مؤلفاته :"أمثال القرآن "و "السر في أنفاس الصوفية ".انظر : معجم المؤلفين الصوفيين ، محمد أحمد درنيقة ،١١٥.**

(٢١) **الرسالة القشيرية ، ١٠٤.**

(٢٢) **محيى الدين بن عربي (٥٦٠–٦٣٨ه) : من كبار الصوفية له من المؤلفات :" الفتوحات المكية " و"فصوص الحكم ".انظر :معجم المؤلفين الصوفيين ، محمد أحمد درنيقة ، ٤٥٨.**

(٢٣) **اصطلاحات الصوفية ،١٩ .**

(٢٤) **الموسوعة الصوفية ، ٨٩٤.**

(٢٥) **المرجع السابق .**

(٢٦) **التعريفات، ١٨٤.**

الخلوة والغاية لما يصبو إليه المريد ومن أجله قبل الخلوة وحشر نفسه فيها واطرح بين يدي الشيخ متخليا عن كل شيء حتى عن إرادته وعقله في سبيل الحصول على أن يصبح من أهل الكشف .

وحقيقة الكشف عند المتصوفه : هي أن ينكشف للقلب من أنوار الغيوب ما ينال به الصوفي من المعارف مالا يناله العقل منها .

ويلحظ هذا في كلام المتصوفة من اتخاذ الخلوة وسيلة لحصول الكشف ، كما بين ذلك الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ)[٢٧]بقوله :(إما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر ... وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم ، وإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار ، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلالة الحضرة الربوبية[٢٨])[٢٩].

واتخاذ الخلوة لحصول الكشف والعلم اللدني هو طريق محدث مخترع لتزكية النفوس برياضيات اخترعها الصوفية من الجوع المفرط و الانزواء ،يقول ابن تيمية(٦٦١-٧٢٨ه) :(كثير من أهل النظر يزعمون أنه بمجرد النظر يحصل العلم بلا عبادة ولا دين ولا تزكية للنفس ، وكثير من أهل الإرادة يزعمون أن طريق الرياضة بمجرده تحصل المعارف بلا تعلم ولا نظر ولا تدبر للقرآن والحديث.

وكلا الفريقين غالط بل لتزكية النفس والعمل بالعلم وتقوى الله تأثير عظيم في حصول العلم لكن مجرد العمل لا يفيد ذلك إلا بنظر وتدبر وفهم لما بعث الله به الرسول ،ولو تعبد الإنسان ما عسى أن يتعبد لم يعرف ما خص الله به محمدا صلى الله عليه وسلم إن لم يعرف ذلك من جهته... كذلك لو جاع

---

(٢٧) الغزالي (٤٥٠-٥٠٥ه) : محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ،متكلم و فقيه أصولي صوفي له من التصانيف :"إحياء علوم الدين "و " المستصفى في أصول الفقه ".انظر : معجم المؤلفين الصوفيين ، محمد أحمد درنيقة، ٤٢٠.

(٢٨) الحضرة الربوبية من مصطلحات الصوفية .والمقصود بها الحضرة الإلهية ولها أقسام .انظر :الموسوعة الصوفية ،٩١٧.

(٢٩) إحياء علوم الدين ، ٣/ ٧٣.

وسهر وخلا وصمت وفعل ماذا عسى أن يفعل لا يكون مهتديا إن لم يتعبد بالعبادات الشرعية وإن لم يتلق علم الغيب من جهة الرسول) [٣٠].

طريقة الخلوة

يجب على المريد[٣١] في الصوفية أن يتخذ لنفسه شيخاً يرشده ، وأن يلزم هذا الشيخ " لزوم الأعمى الماشي على شاطئ النهر لمن يقوده " ، فيعطيه الشيخ أربعة أسلحة يدفع بها الشيطان عن نفسه-كما يزعم الصوفية- ، وهى الخلْوة والصمت والصوم والأرق[٣٢] .

وطريقة الخلوة كما هو مذكور في أغلب كتب الصوفية كالتالي: يأمر الشيخ المريد بالخلوة بأداء الفروض فقط مع دوام الذكر بقوله : الله . الله . أو سبحان الله . سبحان الله ، حتى يمتلئ قلبه بحقيقة معاني هذه الكلمات . ويجب على المريد أن يطرد كل خاطر لا يتصل بالله ، ويقاوم وساوس الشيطان ، كما يلزمه أن يختبر الشيخ بكل خاطر يخطر بباله . فإذا أنس الشيخ منه ذكاء واستقامة ،

---

(٣٠) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، ٥ / ٢٢٦.

(٣١) المريد: من انقطع لله –تعالى – و نظام الزهد الذي تفرضه كل طريقة على أصحابها مختلف باختلاف الطرق ، إذ لكل طريقة قواعدها الخاصة بها ، ولكنها جميعها متفقة في النقط الآتية : الاحتفال بدخول المريد في الطريق بطقوس دقيقة مرسومة . وقد يتطلب بعض الطرق من المريد قبل الدخول في الطريق أن يمضي وقتاً طويلاً شاقاً في الاستعداد للدخول .والتزيين بزي خاص ،و اجتياز المريد مرحلة شاقة في الخلوة والصلاة والصوم ، وغير ذلك من الرياضات ،والإكثار من الذكر مع الاستعانة بالموسيقي والحركات البدنية المختلفة التي تساعد على الوجه والجذب و الاعتقاد في القوى الروحية الخارقة للعادة التي يمنحها الله المريدين وأصحاب الوجد ، وهي القوى التي تمكنهم من أكل جمرات النار ، والتأثير على الثعابين ، والأخبار بالمغيبات الخ . و احترام المرشد أو شيخ الطريق إلى درجة تقرب من التقديس . انظر :الموسوعة الصوفية ،١٢٦٢؛ في التصوف الإسلامي وتاريخه ،١٣٢ –١٣٣ .

(٣٢) انظر :المرجع السابق، ١٢٦–١٢٧؛ إحياء علوم الدين ،٧٣/٣.

ووثق من قدرته على فهم الحقيقة ، أمره بإدامة التأمل حتى يحصل له الكشف ويدخل الإشراق إلى قلبه [٣٣].وهي النتيجة التي يريد الحصول إليها من الخلوة .
وقد بين الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) طريقة الخلوة بقوله: (إن الشيخ يلزم المريد زاوية ينفرد بها، ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال، ويلقنه ذكراً من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه، فيجلس ويقول مثلاً: الله، الله، أو: سبحان الله، سبحان الله، أو ما يراه الشيخ من الكلمات. فلا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب، ثم لا يزال كذلك حتى تمحي من القلب حروف اللفظ وصورته، وتبقى حقيقة معناه لازمة في القلب، وحاضرة معه غالبة علية، قد فرغ عن كل ما سواه ؛ لأن القلب إذا اشتغل بشيء خلا عن غيره) [٣٤].

الغاية من الخلوة عند الصوفية وأهميتها

يرى الصوفية في شأن الخلوة أنها تؤدى إلى سدّ أبواب الحس وتجميد حركات الجسم والابتعاد عن الإغراءات والغَفلة ، وبها يقع قطع التعلق وكسر العادات ، وينشأ الاستعداد لتنزُّل التجلّيات الإلهية[٣٥]،يقول الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ):(إما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر ... وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم ، وإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار ، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلالة الحضرة الربوبية) [٣٦].
وقد تسأل ابن الجوزي(٥٠٨-٥٩٧ه) استنكارا لقول الغزالي : (... من أين له أن يسمع نداء الحق ؟، وأن الذي يشاهده جلال الربوبية ،وما يؤمنه أن يكون ما يجده من الوساوس والخيالات الفاسدة؟)[٣٧].

---

(٣٣) انظر : في التصوف الإسلامي وتاريخه ،١٢٦-١٢٧.
(٣٤) إحياء علوم الدين ، ٣/٧٤-٧٥.
(٣٥) انظر :الصوفية في الإسلام " أنثولوجيا " ،٣٣٣.
(٣٦) إحياء علوم الدين ، ٣/ ٧٣.
(٣٧) تلبيس إبليس ،٢٨٨.

وقال زروق(٨٤٨-٨٩٩ه) في قواعده عن الخلوة: (والقصد بها –الخلوة- تطهير القلب من أدناس الملابسة، وإفراد القلب لذكر واحد وحقيقة واحدة ولكنها بلا شيخ مخطرة وله فتوح عظيمة، وقد لا تصلح لأقوام فليعتبر كل أحد بها حاله) [٣٨].

وجاء في حقائق عن التصوف نقلا عن أبي الحسن الشاذلي (٥٩١-٦٥٦ه) [٣٩]: (ثمار العزلة الظفر بمواهب المنهج، وهي أربعة: كشف الغطاء، وتنزل الرحمة، وتحقيق المحبة، ولسان صدق في الكلمة)[٤٠].

و حقيقة الخلوة عند الصوفية طريق للتلقي عن الله تعالى وحصول الفتوحات الربانية والفيوض الإلهية، إذ إن الإلهام والكشف من مصادر التلقي المعتبرة التي تستمد منها الأحكام العقدية والعملية عند الصوفية التي خالفوا فيها منهج أهل السنة والجماعة.

يقول ابن القيم(٦٩١-٧٥١ه) :(أما دعوى وقوع نوع من العلم بغير سبب من الاستدلال فليس بصحيح فإن الله سبحانه ربط التعريفات بأسبابها كما ربط الكائنات بأسبابها ولا يحصل لبشر علم إلا بدليل يدله عليه وقد أيد الله سبحانه رسله بأنواع الأدلة والبراهين التي دلتهم على أن ما جاءهم هو من عند الله ودلت أممهم على ذلك وكان معهم أعظم الأدلة والبراهين على أن ما جاءهم هو من عند الله ، وكانت براهينهم أدلة وشواهد لهم وللأمم فالأدلة والشواهد التي كانت لهم ومعهم أعظم الشواهد والأدلة والله تعالى شهد بتصديقهم بما أقام عليه من الشواهد فكل علم لا يستند إلى دليل فدعوى لا دليل عليها وحكم لا برهان عند قائله وما كان كذلك لم يكن علما) [٤١]

---

(٣٨) القاعدة "١١٤"،٧٧.

(٣٩)أبو الحسن الشاذلي (٥٩١-٦٥٦هـ) :على بن عبدالله الشاذلي، مؤسس الطريقة الشاذلية في المغرب ،له من المؤلفات :"رسالة الأمين لينجذب لرب العالمين " و"حزب البر ".انظر : معجم المؤلفين الصوفيين ، محمد أحمد درنيقة، ٢٦٧.

(٤٠) ١٣٣.

(٤١) مدارج السالكين ،٣/٤٣٢.

ويقول ابن الجوزي(٥٠٨-٥٩٧ه):(ولا ينكر أن الله عز و جل يلهم الإنسان الشيء ...والمراد بالتحديث إلهام الخير إلا أن الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه وأما الخضر فقد قيل أنه نبي ولا ينكر للأنبياء الاطلاع بالوحي على العواقب ،وليس الإلهام من العلم في شيء إنما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبهما للخير ويلهم الرشد فأما أن يترك العلم ويقول أنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هذا بشيء إذ لولا العلم النقلي ما عرفنا ما يقع في النفس أمن الإلهام للخير أو الوسوسة من الشيطان .

واعلم أن العلم الإلهامي الملقى في القلوب لا يكفي عن العلم المنقول كما أن العلوم العقلية لا تكفي عن العلوم الشرعية فإن العقلية كالأغذية والشرعية كالأدوية ولا ينوب هذا عن هذا وأما قوله أخذوا علمهم ميتا عن ميت..) [٤٢] .

نشأة الخلوة عند الصوفية

تؤكِّد المراجع الصوفية الصلة بين عادات الخلوة عند الصوفيّين وبين الأخبار عن خلوة النبي محمد-ﷺ- في البراري المجاورة لمكة لما فيها من الإعداد لبدء الوحي ونزول القرآن عليه [٤٣].و يستدلون بما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد الليالي ذوات العدد -...)) [٤٤].

يقول الفوتي (١٢١١-١٢٨١ه) : (فهذا الحديث المنبئ عن بدء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأصل في إثبات المشايخ للخلوة لمريد من الطالبين) [٤٥] .

---

(٤٢) تلبيس إبليس ،٣٩٢.

(٤٣)انظر : الصوفية في الإسلام " أنثولوجيا " ،٣٣٣،

(٤٤) سبق تخريجه في المقدمة من البحث .

(٤٥) نقلا عن :فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ،٩٤٨/٣.

(فهذه الأخبار المنبّئة عن بدء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الأصل في إيثار المشايخ الخلوة للمريدين والطالبين في خلواتهم يفتح الله عليهم ما يؤنسهم في خلوتهم تعويضاً من الله إياهم عما تركوا لأجله) [٤٦].

والجواب عن استدلالهم بالحديث :

١(-أن هذا الحديث بينه وبين الخلوة الصوفية فراق لا لقاء معه، فإن خلوة الرسول صلى الله عليه وسلم إنما كانت لتحبيب الله عز وجل له ليهيئه لحمل الأمانة العظمى)[٤٧].

وإذا تقرَّر هذا علمت كون رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخلو بغار حراء لتحنث فيه ويفر من مشاهدة الناس لما كان يجده في نفسه من الحرج والضيق في مشاهدتهم ، فلو نظر إلى وجه الحق فيهم ما فرَّمنهم ولا كان يخلو بنفسه ، وما زال على هذه الحال حتى جاءه الحق فرجع إلى الخلق ولم يزل فيهم .

(٢- كانت قبل أن يؤمر بتبليغ الناس الدين الإسلامي.

٣- لم يأمر بها النبي صلى الله عليه وسلم ولا أشار إليها ولا استحسنها لأمته على الطريقة الصوفية.

٤- لم يفعلها أحد من الصحابة ولا من بعدهم من التابعين لهم بإحسان) [٤٨].

وسيأتي مزيد بيان أن الخلوة عند الصوفية بدعة محدثة عند الحديث عن شروطها ومدتها في المبحث الثاني.

---

(٤٦) الصوفية في الإسلام " أنثولوجيا " ، ٣٤٠.

(٤٧) فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام ، ٣/ ٩٤٩.

(٤٨) المرجع السابق ، ٣/ ٩٤٨.

المبحث الثاني :شروط الخلوة عند الصوفية ومدتها

ذكر الصوفية شروطا الخلوة ،وقد ذكرها الفوتي(١٢١١-١٢٨١ه) أذكرها باختصار، -وللقارئ أن يلاحظ أثناء عرضها مدى تغلغل الأفكار المخالفة للإسلام فيها، من بوذية وهندوسية ونصرانية وغير ذلك-[٤٩]:

١-أن يعود نفسه قبل دخولها إذا أراد الشروع، السهر والذكر وخفة الأكل والعزلة.

٢-أن يكون دخول الخلوة بحضور الشيخ ومباركته له وللمكان أيضاً.

٣- أن يعتقد في نفسه أن دخوله الخلوة إنما هو بقصد أن يستريح الناس من شره.

٤- أن يدخلها كما يدخل المسجد مبسملاً متعوذاً بالله تعالى من شر نفسه، مستعيناً مستمداً من أرواح مشايخه بواسطة شيخه المباشر.

٥-أن يدخل الشيخ الخلوة ويركع فيها ركعتين قبل دخول المريد ويتوجه إلى الله تعالى في توفيق المريد.

٦- أن يعتقد عند دخوله الخلوة أن الله تعالى ليس كمثله شيء، فكل ما يتجلى له في خلوته من الصور، ويقول له: أنا الله، فيقل: سبحان الله! آمنت بالله.

٧-ألا يتلهف كثيراً على كثرة ظهور الكرامات.

٨-أن يكون غير مستند إلى جدار الخلوة ولا متكئاً على شيء، مطرقاً رأسه تعظيما لله تعالى، مغمضاً عينيه ،ثم يجعل خيال شيخه بين عينيه، فإنه معه وإن لم يره المريد.

٩-أن يشغل قلبه بمعنى الذكر على قدر مقامه، مراعياً معنى الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه.

١٠- أن يداوم الصوم؛ لأنه يؤثر في تقليل الأجزاء الترابية والمائية فيصفو القلب.

١١-أن تكون الخلوة مظلمة لا يدخل فيها شعاع الشمس وضوء النهار، فيسد على نفسه طرق الحواس الظاهرة، وسد طرق الحواس الظاهرة شرط لفتح

---

(٤٩) انظر :**فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ،٣/٩٥٠.**

حواس القلب.

١٢-دوام الضوء لتلألأ الأنوار فيها بعد ذلك.

١٣- دوام السكوت إلا عن ذكر الله تعالى إلا عند الضرورة القصوى فيتكلم بحذر شديد أن يزيد.

١٤- أن تكون الخلوة بعيدة عن حس الكلام وتشويش الناس عليه.

١٥-كونه إذا خرج للوضوء والصلاة يخرج مطرقاً رأسه إلى الأرض غير ناظر إلى أحد، ويحذر كل الحذر نظر الناس إليه، مغطياً رأسه ورقبته بشيء؛ لأنه ربما يحصل له عرق الذكر فيلحقه الهواء فيضره.

١٦-أن يحافظ على صلاة الجمعة والجماعة – وإن وجد نفقة فليتخذ له شخصاً يصلي معه في خلوته؛ أي بالإيجار.وإذا خرج لصلاة الجماعة فليتأخر حتى يكبر الإمام تكبيرة الإحرام فإذا انتهي من الصلاة رجع فوراً إلى خلوته.

١٧- المحافظة على الأمر الوسط في الطعام لا فوق الشبع ولا الجوع المفرط

١٨-ألا ينام إلا إذا غلبه النوم بأن تشوش عليه الذكر.

١٩- نفي الخواطر عن نفسه خيره كانت أم شريرة.

٢٠- دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة، والاعتقاد التام بأنه لا يصل إليه أي خير إلا من قبل شيخه المباشر، ومتى غاب فكره عن الشيخ فقد خسر الصفقة.

٢١-ترك الاعتراض عن الشيخ؛ لأنه أعلم بمصالحه وأكبر عقلاً وأعظم؛ لأنه بالغ مبلغ الرجال بخلاف المريد.

٢٢-أنهم في أثناء خلوتهم لا يفتحون أبواب خلوتهم لمجيء الناس وزيارتهم والتبرك بهم، وإياك وتلبيسات النفوس وخداع الشيطان بالإلقاء فيك أن هذا الشخص يهتدي بك وبكلامك وينتفع بملاقاتك في الدين، فإنها من شبكات مكر اللعين.

٢٣- أنه إذا شاهدوا أشياء تقع لهم في اليقظة أو بين النوم واليقظة فلا يستقبحون ذلك ولا يستحسنونه، بل يعرضون ذلك على الشيخ وهو يتصرف بعد ذلك.

٢٤- دوام الذكر والأذكار حسب ترتيب الشيخ لها.
٢٥- الإخلاص وحسم مادة الرياء وطلب السمعة بالكلية.
٢٦- ألا يعين مدة يخرج بعد كمالها، فإن النفس يصير لها بذلك تطلع إلى انقضاء المدة، بل يدخلها وهو يحدث نفسه بأنه قد انتهي من الحياة ودخل القبر.
هذه أهم الشروط التي ألفقها علماء التصوف [٥٠].
(وكانت الخلوات تلحق بالخانقاوات[٥١] في شكل حجرات لها مصاطب وليست لها نوافذ) [٥٢].
(والشروط المذكورة أكثرها صالح معقول، وذلك كأن يقوي المريد نفسه على السهر والذكر وقلة الأكل والشرب والعزلة وكملازمة الطهارة والصلاة والصيام ،ولكن هناك شروط فاسدة وباطلة ، وهي المقصودة بالذات من الخلوة عند واضعي هذا الأصل المحدث) [٥٣].
ومن تلك الشروط الباطلة الفاسدة ما يلي :
(١-قولهم في الشرط الرابع : أن يدخلها " الخلوة" كما يدخل المسجد مستعينا مستمدا من أرواح مشائخه بواسطة شيخه ،ووجه الباطل في هذا الشرط : أن الاستعداد وسواء كان بركة او عونا أو فتحا لا يكون الا لله تعالى بيده كل شيء وقدير على كل شيء، أما أرواح المشائخ أو روح شيخه ،فإنها لا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئا فكيف يطلب منها مددا ليس في حوزتها ولا في استطاعتها؟ ،ومن هنا كان هذا الشرط باطلا ؛لأنه دعوة إلى الشرك بالله وتقرير له بأسلوب المكر والخداع .

---

(٥٠) انظر : رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم لعمر بن سعيد النوبي المطبوع على هامش " جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيد أبي العباس التيجاني " لعلى بن حرازم بن العربي، ، ٢ / ١٥٣.

(٥١) الخانقاوات :مفردها خانقاه لفظ فارسي معناه البيت الذي ينزل فيه الصوفية ،وقيل مأخوذ من الخنق لتضيق الصوفية على أنفسهم .انظر : الموسوعة الصوفية ، ٩٣٢.

(٥٢)المرجع السابق ،٩٥٣.

(٥٣)إلى التصوف يا عباد الله ،٦٠.

٢ _ قولهم في الشرط السادس : وليشتغل بالذكر حتى يتجلى له مذكوره ،وهو الله تعالى في زعمهم قطعا فإذا أفناه عن الذكر به فتلك المشاهدة.

والضلال في هذا الشرط الفاسد هو اعتقادهم أن الله تبارك وتعالى يتجلى للذاكر حتى يفنيه فيه وبذلك تحصل له المشاهدة لذات الرب أو أنواره جل وعلا ،وهذا كذب وباطل إذ الرب تعالى لم يتجلى لأحد من خلقه في الأرض وقد تجلى تعالى للجبل فجعله دكا، وخر موسى طالبا الرؤية مغشيا عليه فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ...

٣ _ قولهم في الشرط الثامن : ثم يجعل خيال شيخه بين عينيه فإنه رفيقه في طريقه وهو معه بمعناه وبروحانيته فإن من هو شيخ حقيقة تكون روحانيته رفيقة ومتعلقة بروحانية كل واحد من مريديه ،وإن كانوا ألفا) [٥٤] ،وهنا منتهى الضلال بجعل خيال وروح الشيخ مرشدا وهاديا.

(هذا وإن كانت الخلوة تحمل في بعض شروطها الكفر والضلال ،فإن البعض الآخر يحمل البدع والأحداث الحرام ،وهذا بيان ذلك :

١- أن تكون الخلوة مظلمة هو شرط ما أنزل الله به من سلطان وكثيرا ما يتسبب ظلام الخلوة في اختلاط المريد فيخرج منها كالمجنون في نطقه وتفكيره وسائر عمله .

٢-دوام السكوت طيلة ما هو في الخلوة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك في حديث أبي اسرائيل

٣-أن تكون الخلوة بعيدة عن حس الناس وأصواتهم مما أدى بهم الى جعلها تحت الأرض كالدهاليز المظلمة وهذه الوضعية بدعة منكرة .

٤- أن لا يتفكر المريد أثناء خلوته في معنى آية قرآنية أو حديث نبوي بدعوى أن ذلك يشغله عن الواردات الحقيقية التي يطلبها بالذكر والخلوة ، وهذا الشرط فاسد وباطل لا يقر عليه الشرع أبدا لما فيه من النهي عن طلب العلم و المعرفة من الكتاب والسنة .

---

(٥٤)المرجع السابق ٦٠-٦١.

٥-أن لا يدخل المريد الخلوة ولا يخرج منها إلا بإذن الشيخ المربي وأن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي غاسله لا يقترح ولا يعترض أبدا. وفي هذا قتل لشخصية المسلم وهدر لكرامته ، وسلب لإرادته وهذا لا يحل فعله بالمسلم أبدا.

٦- دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستعداد إذ هو الذي عينه الحق سبحانه وتعالى للإفاضة على المريد ولا يحصل له الفيض إلا بواسطته دون غيره ،ولو كانت الدنيا كلها مملوءة بالمشائخ إذ متى تكون في باطن المريد تطلع إلى غير شيخه لم ينفع باطنه إلى الحضرة الوحدانية؟)[٥٥]!

ولا شك أن القارئ يدرك تأثير هؤلاء الصوفية بالمبادئ الخارجة عن الإسلام، وكيف حاولوا أن يظهروها ويغطوها بغطاء إسلامي، وإلا فأين مستندهم من القرآن والسنة النبوية على تلك الشروط وتلك الخلوة في ذلك الحفش المظلم، الذي يسد فيه أي شعاع للنور، ويجلس غير مستند على شيء؟!، هل هو من الإسلام؟!، وتلك الطاعة العمياء التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي لا ينبغي أن تكون إلا لله ولرسوله فقط، هل هي من الإسلام[٥٦].

كما يشابه الصوفية في سكنى الخلاء واتخاذ الخلوات -الأماكن المظلمة –منزلا النصارى ،وإن كان النصارى يتخذون من الأديرة سكنى .

ومما يؤكد بأن هناك عوامل أثرت في الخلوة عند الصوفية ، كنظام الدير في النصرانية ما ذكره الكاتب الأوروبي نيكلسون حيث كتب يقول: (ويقال إن أول خانقاه أسست لمتصوفة المسلمين كانت برملة في فلسطين قبل نهاية المائة الثامنة الميلادية على ما يظهر وأن مؤسسها كان راهباً مسيحياً....)[٥٧] ثم قال: (ولم تظهر فيه الربط والزوايا المظلمة إلا في عصر متأخر لأن القارئ للكتب التي ألفت في التصوف حتى منتصف القرن الخامس الهجري مثل (قوت القلوب) لأبي طالب المكي (و(حلية الأولياء) لأبي نعيم و(الرسالة)

---

(٥٥)المرجع السابق ٦٠–٦١.

(٥٦) انظر :فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها،٩٥٣/٣.

(٥٧) في التصوف الإسلامي وتاريخه ، ١١٩.

للقشيري قلما يجد فيها إشارة إلى هذه الربط والزوايا ومع ذلك نجد أن كبار الصوفية من رجال القرنين الثالث والرابع قد اجتمع حولهم المريدون ليأخذوا عنهم الطريق ،ويتأدبوا بآدابه ومن الطبيعي أن هؤلاء المريدين أقاموا في بيوت دينية من نوع ما كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.) [٥٨]

مدة الخلوة الصوفية

يري بعض الصوفية أن الخلوة محدودة بالزمن وهو أربعون يوماً ، وقد استدل الصوفية على هذه الأربعينية من الآيات القرآنية بقصة موسى -عليه السلام-حينما أمره الله تعالى بتخصيص الأربعين بمزيد تبتل . قال تعالى :﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينْ لَيلَةِ وَأَتمْمنها بعشر فتم مِيقَاتُ رَبِه أَرْبَعْينَ لَيْلَةً ﴾ [سورة الأعراف :١٤٢]

ويستدل أيضا بعض الصوفية بمجاورة الرسول-ﷺ-وتحنثه قبل البعثة في غار حراء .يقول الفوتي(١٢١١-١٢٨١ه): (وأكثرها عند القوم لا حد له، لكن السنة تشير للأربعين بمواعدة موسى صلى الله عليه وسلم، والقصد في الحقيقة الثلاثون؛ إذ هي أصل المواعدة وجاور صلى الله عليه وسلم بحراء شهراً)[٥٩].

وهذا استدلال غير صحيح ؛لأن ما شرع لموسى-عليه السلام- فهو خاص له ،وليس شرعاً لمحمد -عليه السلام-، فكيف ترك الصوفية شريعة محمد وتمسكوا بشريعة موسى هي شريعة خاصة بل منسوخة بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وهذا مع أن هناك فرقاً كبيراً بين خلوة موسي وخلوة الصوفية [٦٠].

وعلى هذا تبين أن الخلوة أو الأربعينية ليس لها أصل في كتاب الله ولافي سنة رسول صلى الله عليه وسلم ،وهناك مدة أخرى للخلوات منها "فاتحة الكتاب "، وخلوة البسملة "[٦١].

ويمكن إجمال الرد على الخلوة عند الصوفية :

---

(٥٨) المرجع السابق ، ١٢٠.

(٥٩) نقلا عن :فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ،٩٤٩/٣.

(٦٠) انظر : البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها ، ٤٥٩.

(٦١) انظر : فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ،٩٥٤/٣.

١-بدعة مستحدثة لم يأمر بها النبي ولا أشار إليها، وكذلك لم يفعلها أحد من الصحابة ولا من جاء بعدهم من التابعين.

نعم في الإسلام سنة الاعتكاف في المساجد في رمضان طلبا لليلة القدر ،وفي الإسلام الاعتزال إذا ساءت أحوال الناس وخاف المسلم فتنة في دينه أبيح له أن يعتزل الناس فيبقى في منزله أو مزرعته أو في باديته يرعى غنمه . لكن كل ذلك بعيد عن خلوة الصوفية.

وواقع الأمر إنَّ المقولات والمقتطفات عن الخلوة في الأدب الصوفي تشهد على كونها عادةً قديمةً سادت في الفترة قبل الإسلام بين الرهبان النصارى ،فقد أثرت النصرانية وغيرها في الفكر الصوفي ، ولم يقتصر الأمر على اللباس وعهود الصمت وكثير من آداب طريق الزهد والتصوف التي يمكن ردها إلى أصول نصرانية وغيرها ،فنظام الرهبنة [٦٢]في النصرانية

---

(٦٢) **الرهبنة في النصرانية : الرهبنة :اسم من معنى الراهب أي اتخاذ طريقة الرهبان ، ووزنها فعلنة أو فعللة على تقدير أصالة النون أو زيادتها .انظر : دائرة المعارف ، ٨ / ٦٨٧؛لسان العرب ، بدأت الحياة الرهبانية في النصرانية في الشرق في مصر في القرن الثالث الميلادي ، وبلغت أوج نموها في القرن الرابع الميلادي. ويعد ا أنطونيوس الكبير المولود في مصر سنة ٢٥١م مؤسس الرهبنة الشرقية، فقد دعا إلى حياة الانفراد والعزلة، وإنكار الذات والصلاة والتفكير بالله، بعيداً عن المدن والاضطرابات الدينية. وعاش في انفراد تام مدة عشرين عاماً، مجاهداً بالصوم والصلاة ومعرضا ذاته لجميع أنواع الحرمان، فذاع صيته في كل أنحاء مصر، وتوافد النصارى لزيارته، ورغبوا في العيش بقربه وتحت قيادته، فتألفت حوله جمعية من التلاميذ النساك، وكانت أول جمعية رهبانية (عام ٣٠٥م). ولم يكن لها قوانين مفصلة بشأن الحياة النسكية، وقد اتسع نطاق الرهبنة المنفردة والجماعية كثيراً، فانتشرت في كل أنحاء مصر، وانتقلت إلى سورية وآسيا الصغرى وسواحل البحر الأسود الجنوبية. وقد التزمت الرهبنة في جميع الكنائس الشرقية إلى اليوم الحاضر القانون المنسوب إلى باسيليوس وأنطونيوس، وأديرتها كثيرة ولها نفوذها السياسي والديني الكبير. انتقلت الرهبنة إلى الغرب عن طريق القديس أثناسيوس وقد مرت الرهبنة بمراحل عدة، فكانت في بدايتها هروباً من الناس وبعداً عن المدن والقرى، وانطلاقاً في الصحارى والبراري و لجوءاً إلى الكهوف، بقصد محاربة شهوات الجسد والإكثار من العبادة والتأمل، مع المحافظة على الوحدة والتفرد. وبمرور الزمن ازداد عدد الراغبين في الترهب، فبنوا**

يشابه إلى حد كبير نظام التصوف[٦٣]؛ لأن ظهور الكنائس النصرانية ،ونظمها كنظام الرهبنة ، وانتشار الأديرة النصرانية في أنحاء العالم ومنها: الجزيزة العربية وما جاوروها أمر معروف ،فكانت المجاورة والاحتكاك من أهم العوامل والطرق لانتقال بعض الممارسات والطقوس من النصرانية إلى الصوفية ،بل بلغ الحد من بعض الصوفية أن الاتصال مع النصارى كان من أجل التعلم منهم معتقدات تخالف دينه ومعتقده وإليك نموذج لذلك من كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي وهو يدل على حرص الصوفية على الاستفادة من رياضات رهبان النصارى فقد أورد الغزالي عن إبراهيم بن أدهم(ت ١٦١هـ)[٦٤]وهو يعتبر من الرجال الذين يشار لهم بالبنان في الأوساط الصوفية:(قال إبراهيم بن إدهم :علمت المعرفة من راهب يقال له سمعان ،دخلت عليه في صومعته فقلت :يا سمعان منذ كم أنت في صومعتك؟ قال منذ سبعين سنة قلت: فما طعامك؟ قال :يا حنيفي وما دعاك إلى هذا ؟قلت :أحببت أن أعلم ،قال: في كل ليلة حمصة ، قلت :فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة ؟قال: ترى الدير الذي بحذائك قلت :نعم قال :إنهم يأتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فأنا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الأبد فوقر في قلبي المعرفة فقال : حسبك أو أزيدك قلت بلى قال : أنزل عن الصومعة فنزلت فأدلى لي ركوة فيها عشرون حمصة فقال :لي ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدير اجتمع علي النصارى فقالوا يا

لأنفسهم صوامع متجاورة وانتهى بهم الأمر إلى بناء أسوار عالية تضم بداخلها عدداً من الصوامع فنشأت بذلك الأديرة .انظر : الرهبنة والتصوف في المسيحية والإسلام ، محمد عبد الحميد الحمد ، ٥٠،

(٦٣) يذهب بعض الدارسين إلى التمييز بين التصوف المسيحي والرهبنة المسيحة .انظر :المرجع السابق ،ص ٧٣، ويذهب كثير من الباحثين إلى أن الرهبنة والتصوف المسيحي شيئا واحدا .

(٦٤) إبراهيم بن أدهم (ت ١٦١هـ):زاهد مشهور تروى عنه في كتب الصوفية وغيرها الحكايات والقصص –الله أعلم بصحتها–انظر :موسوعة الصوفية، ٢٧.

حنيفي ما الذي أدلى إليك الشيخ قلت : من قوته قالوا :فما تصنع به ونحن أحق به ثم قالوا ساوم قلت عشرون دينارا فأعطوني عشرين دينارا فرجعت إلى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي صنعت قلت: بعته منهم قال :بكم قلت بعشرين دينارا قال أخطأت لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لأعطوك هذا عز من لا تعبده ،فانظر كيف يكون عز من تعبده يا حنيفي أقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة) [٦٥].

٢-(أن الخلوة تنافي مقاصد الشريعة الإسلامية، التي تدعو إلى الاكتساب ومخالطة الناس ، وأنها ليس فيها نفع لا للصوفي ولا لمجتمعه، بل على العكس فإن متبعها يخرج مظلم الفكر مكتئباً، نافراً عن الناس، تلاحقه الوساوس)[٦٦].

ويكفينا في رد هذه الخلوة والعزلة ما أشار إلية القرآن الكريم قولة تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجتْ لِلنْاس تَأمُرُونْ بِالْمْعرُوفْ وَتَنْهَونْ عنْ المُنْكَرِ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٠]

فقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بأنها خير أمه أخرجت للناس ، ولكن بشرط أن يقوموا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ لأنه مبدأ عظيم لهذا الدين ، ومن المعروف بالضرورة أن هذا المبدأ لا يتحقق بالعزلة ، ولا بالخلوة ، ولا بالهروب من المجتمع كما دعا إليه الصوفية ،وإنما يتحقق بالاجتماع مع الخلق ، والتعامل معهم بالحسنى ، ومن هنا يتبين اتجاه الصوفية السلبي نحو الحياة والناس[٦٧] .

٣- أن الخلوة نظام يتعارض مع الفطرة البشرية التي فطر الناس عليها ، فدعوة الناس إلى الانفراد ، والاعتزال عن مجتمع الناس ، تعطيل لإعمار الأرض ، ومخالف لروح الحياة الاجتماعية التي فطر عليها الناس .

.

(٦٥) إحياء علوم الدين ،٣/ ٣٢٤-٣٢٥.

(٦٦) فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ،٩٤٩/٣.

(٦٧) انظر : البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها ،٤٦١.

الخاتمة

اللهم لك الحمد على تتابع إحسانك ، ولك الحمد على تواتر إنعامك ، ولك الحمد على صفاتك وأسمائك ، ولك الحمد على رسلك وأنبيائك ، لا إله إلا أنت لا يحصي العباد ثناء عليك كما أثنيت على نفسك ،لك الحمد على إتمامي لهذا البحث ،الذي في نهايته أسجل أهم نتائجه:

١-تعتبر الخلوة من أصول الصوفية وأهم طرق للحصول على الكشف الصوفي، وهي لغة مصدر خلا يخلو خلا وخلوة إذ انفرد بنفسه عن غيره من سائر الناس ، وفي اصطلاح الصوفية : انفراد المريد بإذن الشيخ وتحت رقابته ورعايته في سرداب او دهليز من الارض مظلم مدة لا تزيد على الأربعين ليلة مستدلين على مشروعيتها بتحنث النبي صلى الله عليه وسلم قبيل البعثة بغار حراء وعلى مدتها بمواعدة الله تعالى نبيه موسى عليه السلام أربعين ليلة، ورغم استدلال الصوفية بهذه الأدلة على الخلوة إلا أنهم في شروطها وطريقتها وغايتها قد ابتدعوا وضلوا .

٢-للخلوة عند الصوفية شروط بلغوا بها ستة وعشرين شرطا والمقصود من وراء تلك الشروط أنه إذا لم يف المرء بها على الوجه الأكمل لا يتم له مراده من الوصول الى الله تعالى حتى يصبح من أهل الكشف والمعرفة اللدنية .

والشروط المذكورة أكثرها صالح معقول وذلك كأن يقوي المريد نفسه على السهر والذكر وقلة الأكل والشرب والعزلة وكملازمة الطهارة والصلاة والصيام، إلا أن أغلب الشروط فيه من الابتداع والضلال الشيء الكثير كـ أن يدخلها " الخلوة" كما يدخل المسجد مستعينا مستمدا من أرواح مشائخه بواسطة شيخه ،ووجه الباطل في هذا الشرط : أن الاستعداد وسواء كان بركة او عونا أو فتحا لا يكون الا لله تعالى بيده كل شيء وقدير على كل شيء، أما أرواح المشائخ أو روح شيخه ،فإنها لا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئا فكيف يطلب منها مددا ليس في حوزتها ولا في استطاعتها؟ ،ومن هنا كان هذا الشرط باطلا ؛لأنه دعوة إلى الشرك بالله وتقرير له بأسلوب المكر والخداع .،واشتراطهم الاشتغال

بالذكر حتى يتجلى له مذكوره ،وهو الله تعالى في زعمهم قطعا فإذا أفناه عن الذكر به فتلك المشاهدة.

من التوصيات :كتابة بحث عن تأثر الخلوة عند الصوفية بالنصرانية أو غيرها .

هذا ونسأل الله الهداية إلى سواء السبيل ، وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع والمصادر

- إحياء علوم الدين ،تأليف : أبو حامد الغزالي ،الطبعة بدون ، إندونيسيا: مطبعة كرياطه فوترا.

-اصطلاحات الصوفية [عربي - فرنسي - إنكليزي]، تأليف :الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربي ، الطبعة الأولى ،إعداد وتقديم : عبدالحميد صالح حمدان، القاهرة :مكتبة مدبولي ،عام ١٩٩٩م.

- الألفية الصوفية المسماة الألفية الوفيه للسادة الصوفية ."تراث العارف الأستاذ مصطفي البكري" .تأليف :مصطفي بن كمال الدين البكري الصديقي . ،تحقيق ودراسة وتعليق : عمرو يوسف مصطفي الجندي ،الطبعة الأولى ، القاهرة :دار الإحسان ،عام ٢٠١٧م.

-إلى التصوف يا عباد الله ، تأليف : أبو بكر الجزائري ،الطبعة بدون، الإسكندرية: دار البصيرة

- البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها ، تأليف :عبدالله مصطفى نومسوك ، الطبعة الأولى ، الرياض :أضواء السنة ،عام ١٤٢٠ه/١٩٩٩م.

-التعريفات ،تأليف :على بن محمد بن على الجرجاني ، الطبعة الأولى ، تحقيق :جماعة من العلماء ، بيروت :دار الكتب العلمية ، عام ١٤٠٣ه/١٩٨٣م.

-تلبيس إبليس ، تأليف :عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، الطبعة الأولى ، تحقيق : السيد الجميلي ، بيروت : دار الكتاب العربي ،عام ١٤٠٥ه / ١٩٨٥م.

-تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق ، تأليف :محمود بن أحمد الفاريابي ،هذبه وخرج أحاديثه :محمد خير رمضان يوسف ، بيروت : دار ابن حزم ،عام ١٤٢١ه/٢٠٠٠م.
-دائرة المعارف ، تأليف :بطرس البستاني ، بيروت :دار المعرفة .
--الرسالة القشيرية في علم التصوف، تأليف :عبدالكريم بن هوزان القشيري، تحقيق :معروف مصطفى زريق وعلى عبد الحميد أبو الخير ،دمشق :دار الخير ،عام ١٤١٨ه/١٩٩٧م.
- رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم لعمر بن سعيد النوبي المطبوع على هامش " جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيد أبي العباس التيجاني " لعلى بن حرازم بن العربي ،طبعة مصطفي البابي الحلبي ، عام١٣٨٠ هـ/ ١٩٦١م .
- الرهبنة والتصوف في المسيحية والإسلام ،تأليف: محمد عبد الحميد الحمد ، الطبعة الأولى، الرقة سوريا ، عام ٢٠٠٤م.
- الصوفية في الإسلام " أنثولوجيا " ،جمع وتقديم : ساره سويرى ، الطبعة الأولى ، بيروت :منشورات الجمل ، عام ٢٠١٦م.
-فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، تأليف : غالب بن على عواجي، الطبعة الرابعة، جدة :المكتبة العصرية الذهبية ،عام ١٤٢٢ه/٢٠٠١م.
- قواعد التصوف ،تأليف : أبي العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى " زروق الفاسي البرنسي " تقديم وتحقيق : عبد المجيد خيالي .
- في التصوف الإسلامي وتاريخه ، تأليف :رينو لند أ. نيكولسون ،نقلها إلى العربية وعلّق عليها أبو العلا العفيفي ، الطبعة الأولى ، بيروت :منشورات الجمل .
-لسان العرب، لابن منظور، الناشر: دار المعارف.

-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تأليف محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ،الطبعة الثانية، تحقيق : محمد حامد الفقي ، بيروت :دار الكتاب العربي ،عام ١٣٩٣ ه/ ١٩٧٣م.

-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ،بيروت : المكتبة العلمية .

-معجم المؤلفين الصوفيين ، محمد أحمد درنيقة، الطبعة بدون ، طرابلس : المؤسسة الحديثة للكتاب .

-معجم المؤلفين الصوفيين ،تأليف :محيى الدين الطعمي ، الطبعة الأولى ، القاهرة :دار الخلود، عام ٢٠١٠م.

-منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، تأليف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ،تحقيق : محمد رشاد سالم ، الطبعة :الطبعة الأولى الناشر :مؤسسة قرطبة ، ١٤٠٦ه.

- الموسوعة الصوفية ،تأليف : عبد المنعم الحفني ، الطبعة الخامسة ،القاهرة :مكتبة مدبولى ،عام ٢٠٠٦م.

كتب إلكترونية :

- حقائق عن التصوف، تأليف : عبد القادر عيسى ،"موقع الطريقة الشاذلية الدرقاية"